نظرية النغم الخفي في القرآن الكريم

د. إسماعيل عبد الغني التميمي

Kur'an-ı Kerim'de Deruni Musiki Nazariyesi

Özet

Bu araştırma Kur'an-ı Kerim' deki derûni mûsikîyi ortaya çıkarmayı ve onu başkalarından ayıran unsurları apaçık ortaya koymayı hedeflemektedir. Çünkü Kur'an-ı Kerim nağmelerinin insan ruhunda öyle üstün bir etkisi vardır ki, bunu ne şiirde nede nesirde hiçbir nağmenin ortaya koyması mümkün değildir. Binaen aleyh bu araştırma Kur'an'ın metin güzleğini ortaya koyacak, dil özelliğinin sırlarından bir sırrı keşfedecektir. Bu çalışma Arap Dilinin korunmasında Kur'an nağmelerinin önemini ispat edecektir. Kur'an-ı Kerim Arap diline hâkim olmuş, onu yönlendirmiş, lafızlarını kalıba dökmüş, manalarını sıkıca birbirine bağlamış, orijinalitesini sağlamış, değerini ve büyüklüğünü ikmal etmiştir. Dolayısıyla Arap dili ışığı sönmeyen Güneşten daha değerli hale gelmiş, asırlar ve zamanlar boyu o ışıkla kâinatı ışıtmıştır. Binaenaleyh Kur'an Arap dilini mağlup olmayan hücceti, bozulmayan meziyetidir. Allah bu Kur'an ile Arap Dilinin nurunu arttırdıkça arttırmıştır.

Nağme (mûsikî/melodi) nazariyesinin esası Arap Nahvidir. Çünkü Nahiv, birbiriyle alakası noktasında kelamın araştırılmasınaönem verir. Nağme de bu alaka ve birliktelikten doğan etkiyi araştırır. Çünkü o, bu alakanın tohumundan doğan meyveyi etüt etmeye önem verir. Dolasıyla nahvin ortaya koyduğu kelamın bir kısmı diğerini tamamlar. Bu araştırma kısaca Kur'ânî kıssaya bir misal vermektedir. Çünkü Kur'an kıssaları benzeri olmayan bir şekilde ortaya çıkar. Herdefasında Kur'an kıssalarının tekrarı ise, o Kur'an nağmelerinin arkasında saklı manalara delalet eder. Yani kıssanın kıssa ile olan irtibatını kıssanın sûre ile olan irtibatı, bunun da ötesinde sûrenin sûre ile irtibatını ve sûrenin külli bir manayı ifade ettiğini kastediyoruz ki, bunu tek başına ne lafız ne de mana temsil edebilir. Buda gösterir ki Kur'an-ı Kerim'de ki gizli nağme (nağm hafî) nin bir kısmı seni diğer kısmıyla irtibata geçirir.

Abstract

The goal of this study is to explore the different melodies and tones used in the Quran; and to clarify the distinctive aspects of it, this is due to the Quran having a major influence on the human soul that are not effected by poetry or continuous prose therefore studying it will be in the same category as identifying a secret out from its many linguistic miracles. This study leads

on to prove how vital the melody and tone shown in the Quran is to memorizing the Arabic language. The Quran has grasped the Arabic language firmly, enhanced its vocabulary, organized its meanings, completed its ingenuity, and finalized its splendour and majesty, and made it grander than the sun as its brightness never fades, which shone across different ages and times, for it's the excuse that never refutes and it's a feature that never annuls, God gave it light upon light.

The theory behind the melody and tone in the Quran lies in the Arabic grammar. The grammar means to relay word by word and therefore the melody and tone are an effect of their close relationship and entanglement; because it's a study of the fruit that resulted from the seed of direct correlation, therefore a piece of it will complete the other piece, he cites stories in the Quran in an imaginative manner. It stands to show that story by story, the repetition of every example portrays hidden meanings behind due to the melody and tone, what it means to connect story by story and story to imagery and even further than that imagery to imagery, this is resulted due to a complete meaning that is not grasped by a word or words, nor a sentence or sentences, which shows that the Quran reaches to you piece by piece.

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن مكنونات النغم الخفي في القرآن الكريم، وإلى استجلاء العناصر المميّزة له، ذلك أن لنغم القرآن الكريم أثرا بالغا في النفس الإنسانية لا يُحدِثه فيها أيُّ نغم في الشعر أو في النثر، فتكون دراسته استظهارا لجمالية النص القرآني، للكشف عن سر من أسرار إعجازه اللغوي، وتقود هذه الدراسة إلى إثبات أهمية النغم القرآني في حفظ اللغة العربية، فلقد أمسك القرآن الكريم بناصية اللغة ووجّهها، وسبك ألفاظها، وحبك معانيها، وأتمّ إبداعها، وأكمل بهاءها وجلالها، فكانت أبهى من الشمس لا يخبو نورها، فشعّت به على مدّ العصور والأزمان، فهو حجتها التي لا تُدحض، ومَزيّتها التي لا تُنقض، زادها الله به نورا على نور.

إن نظرية النغم أساسها النحو العربي، فالنحو يُعنى بدراسة الكلام حين يعلق بعضه ببعض، والنغم يدرس أثر ما ينشأ من ذلك التعالق والتجاور؛ لأنه معنيّ بدراسة الثمرة الناتجة من بذرة التعالق، فيكون بعضه مكمّلا لبعض، ويَضرب البحثُ مَثَلا على ذلك القَصصَ القرآني في صورته المجملة، إذ يظهر قصصه على صورة ليس لها، وتكراره في كل مرة دليل على ما يكمن من معان تتخفّى خلف النغم، ما يعني ذلك ارتباط القصة بالقصة، والقصة بالسورة، بل إلى حد أبعد من ذلك وهو ارتباط السورة بالسورة، وتأديتها لمعنى كليّ لا يمثّله اللفظ ولا المعنى وحدهما؛ ما يدل على أن النغم الخفي في القرآن الكريم يوصلك بعضه إلى بعض.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الهادي المبعوث رحمة للعالمين نبي الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين، ثم أما بعد:

فلقد ختم الله عز وجل الوحي بالقرآن الكريم، «أرفع نص عربي موثوق به، منه نهل العلماء والفقهاء أحكامهم، وعليه ثبّتوا قواعدهم، ومن مورده العذب استقى الشعراء والبلغاء نظمهم ونثرهم»[1]، ومن تمام بلاغة القرآن الكريم الإعجاز، وهي أعلى طبقة من طبقات البلاغة[2]، يُبهر السامع فلا يستطيع معه إلا أن يُقرّ بعظمته وجلاله، فلا يستطيع أن يجاريه لا بلفظه ولا بمعناه، ولا بنظمه ولا بنغمه؛ لذا فقد كان نغم القرآن الكريم متجانسا محكما، لا اعوجاج فيه ولا أمت ولا نشوز، فكل صوت من أصواته ذو نغم سلس وجرس عذب، وفي ذلك قال الله تعالى في محكم التنزيل: { قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلّهم يَتّقُون} الزمر: ٢٨ ، ومن تمام الاستقامة وعدم الاعوجاج أن لا ينشز صوت عن محله، ولا يخرج جرس عن نسقه، وهذا من أتمّ آيات الإعجاز القرآني وأكملها.

لم يقف الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم ليبهر العرب القدامى وحدهم؛ بل ما زال إعجازه معينا لا ينضب، وغيثا لا ينقطع، يزيد رونقه وبهاؤه مع كثرة الترداد وطول المداومة، و» التماس النظريات الصوتية المعقدة في رحاب القرآن العظيم مما يحتاج إلى الصبر والأناة، واستكناه فصائل هذا الملحظ الدقيق مما يدعو الى الترصد والتصدي والاستنتاج»[3].

ظهرت كثير من المؤلفات والمصنفات والدراسات التي كانت تطمح بأعينها إلى استظهار جمالية النص القرآني وإعجازه، فكانت الآراء المختلفة تعزو سر إعجازه إلى قضايا شتى، غير أنها تتفق على أن هناك سرّا خفيا يقف وراء ذلك الإعجاز، لذلك فإن دراسة النغم القرآني تقود إلى الكشف الدقيق والدرس العميق في ماهية هذا الإعجاز.

1 نظر: ابن مالك، جمال الدين الأندلسي، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، تحقيق طه محسن، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1405هـ/1985م، ص-306 ص307.

2 نظر: الرماني، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م، ج1/ص75. وانظر: الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم، بيان إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول، ط4، دار المعارف، القاهرة، ص26.

3 محمد الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ، بيروت، موسوعة الدراسات القرآنية، ط1، د.ت، ص6.

طرق كثير من العلماء موضوع الإعجاز اللغوي، وذكر بعضهم النغم الخفي بشيء من الإشارة إلى ذلك الأثر الذي تجده النفس من اللذة في قراءة القرآن أو استماعه، فصنّف محمد بن يزيد الواسطي (ت302هـ) كتابا أسماه «إعجاز القرآن»، ثم كتب علي بن عيسى الرماني (ت384هـ) كتاب «النكت في إعجاز القرآن، وألف أبو سليمان الخطابي (ت288هـ) كتاب «بيان إعجاز القرآن»، ثم كتب القاضي أبو بكر الباقلاني (ت403هـ) كتاب «إعجاز القرآن»، ثم وضع عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) كتابه «دلائل الإعجاز»[4]، غير أنه نفى أن يكون ثمة مزية للألفاظ من حيث هي أصوات، ثم كتب سيد قطب كتابين أحدهما «في ظلال القرآن»، والآخر «في التصوير القرآني» ذكر فيهما كثيرا من مظاهر النغم القرآني.

أولا: معنى النغم لغة:

أشار المعجميون القدامى إلى الترادف بين معنى النغم والجرس، وأنهما يدلان على الصوت الخفي، فقال ابن منظور: النغمة: جرس الكلمة، وحسن الصوت في القراءة وغيرها، وهو حَسَنُ النَّغْمة، والجمع نغْمٌ، ثم قال: وعندي أن النَّغَم اسم للجمع، وقد تنغّم بالغناء ونحوه، وإنه ليتنغّم بشيء أي يتكلّم به، والنغمة الكلام الحسن، وقيل: هو الكلام الخفي[5]، كذلك قال الجوهري، والفيروزآبادي[6]، وقال ابن فارس في مقاييسه: « النون والغين والميم ليس إلا النغمة: جرس الكلام وحسن الصوت بالقراءة وغيرها، وهو النغم، وتنغّم الإنسان بالغناء ونحوه»[7].

وإليه أشار ابن منظور في كلامه على معنى الدندنة: « أن يتكلم الرجل بالكلام تسمع نغمته ولا تفهمه عنه؛ لأنه يُخْفيه»[8]، وكذا قال الجوهري في المادة نفسها[9]، وقال في معنى القهقهة: « لعجَلة السير، كأنهم توهّموا لجرس ذلك جرسَ نغمة فضاعفوه»[10].

4 لرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية، القاهرة، 1426هـ، ص127.
5 بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2003م، ج12/ص590.
6 نظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1399هـ/1979م، ج5/ص2045.
7 بن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، المجمع العربي الإسلامي، 1399هـ/1979م، ج5/ص452.
8 بن منظور، لسان العرب، ج13/ص160.
9 لجوهري، الصحاح، ج5/ص2114.
10 بن منظور، لسان العرب، ج13/ص531.

ويرادف معنى النغم في المعاجم معنى الجرس، فقد ذكر ابن منظور المعنى نفسه في مادة «جرس»، فقال: إن الجرس هو الصوت نفسه، والجرْس بفتح الجيم وكسرها الصوتُ الخفي، ثم قال: وجرست وتجرّست أي: تكلّمت بشيء وتنغّمت به[11]، وذكر صاحب العباب الزاخر قول ابن دريد: «الجرس صوت خفي، يقال: ما سمعت له جرسا؛ أي: ما سمعت له حسّا»[12]، وذكر ذلك الجوهري في صحاحه، وابن فارس في مقاييسه، والفيروزآبادي في قاموسه[13]، فالنغم والجرس بمعنى[14].

ثانيا: النغم والنظم في الدراسات القديمة:

إن الكلام على قضية النظم والنغم يعيد إلى الأذهان قضية اللفظ والمعنى التي أثارها الجاحظ في منتصف القرن الثاني للهجرة حين قال عبارته المشهورة: « المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، إنما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وفي صحة الطبع وجودة السبك»[15]، غير أن هذا البحث ليس معنيّا بأن يُثير هذا الخلاف القديم؛ لأن أصل الاختلاف بين الأقوال مصدره إما التأثر بعلم الكلام، وما لحقه من تأثر المعتزلة أو الأشاعرة به، وإما الاختلاف في حد الفصاحة والبلاغة، ونحن لسنا بصدد الكلام على الخلافين بشيء.

ولكن يمكن أن نقسم أقوال العلماء في قضية اللفظ والمعنى إلى أربعة أقسام[16]، قائلٍ باللفظ دون المعنى، كالجاحظ(ت255هـ)، وأبي هلال العسكري(ت395هـ)، وآخرَ قائلٍ باللفظ والمعنى، كابن قتيبة(ت276هـ)، وقدامة بن جعفر(ت337هـ)، وقائل بالتفريق والفصل بينهما، قاله بشر بن المعتمر(ت210هـ)، وقاله العتابي(ت220هـ)، وابن طباطبا(ت322هـ)، وابن رشيق(ت414هـ) وابن الأثير(ت637هـ)، وأخيرٍ قائل بعلاقة المعاني

11 بن منظور، لسان العرب، ج6/ص35. ص36. وانظر: الصغاني، العباب الزاخر، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ط1، 1987م، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ج6/ص67. وانظر: الجوهري، الصحاح، ج3/ص913. وانظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج1/ص442.

12 لصغاني، العباب الزاخر، ج6/ص66.

13 نظر: الجوهري، الصحاح، ج3/ص913. وانظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1/ص442.

14 بن منظور، لسان العرب، ج6/ص36.

15 كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1388هـ/1969م، ط3، ج3/ ص131.

16 نظر: إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط4، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ص88. واانظر: إحسان عباس، فن الشعر، دار الثقافة، بيروت، ط3، د.ت، ص-190 ص192. وانظر: شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، مصر، ط2، 1966م، ص166. وانظر: محمد عناني، النقد التحليلي، سلسلة مكتبة النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، د.ت، ص-85 ص86.

النحوية في تعالق الكلام بعضه ببعض، دون أن يكون للألفاظ من حيث هي أصوات أيُّ فضل أو مزيّة، وهو ما سمّاه عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) بالنظم.

أدرك عبد القاهر الجرجاني أن ثَمّة سرّا خفيا في الكلام أبعدَ من اللفظ ومعناه، إذ يقول: «لا بد لكل كلام تستحسنه ولفظ تستجيده من أن يكون لاستحسانك جهة معلومة وعلة معقولة"[17]، ويقف وراء التراكيب اللغوية فيتعدّى الظاهر ويجاوز اللفظ من حيث كونه أصواتا وأنغاما، وعماد ذلك أن « يُؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، ويُختار له اللفظ الذي هو أخص به، وأكشَفُ عنه، وأتم له، وأحرى بأن يكسبه نبلا، ويُظهر فيه مزيّة»[18]، فلا تكون البلاغة في الكلمة وحدها ولا باجتماعها مع مثيلتها، وإنما بما يكون بينهما من عرى ووشائج تعلق في أبعد من المنطوق والمسموع، وتتصل فيما سوى الألفاظ والمعاني، إذ» الغاية في النظم إحداث تأليف بين الكلم بحيث يترتب على هذا التأليف المتوافق مع العقل بناء الدلالة من ثمة المفهوم الواحد»[19].

ويمكن الجمع والتوفيق بين ما قاله أصحاب الخلاف بين اللفظ والمعنى، بالتلاؤم القائم بين النظم والنغم، وإن كان ذلك لا يروق الجرجاني، ولا يعجبه البتة، غير أنه ليست الألفاظ مستحسنة لمجرد أنها أصوات تخرج من الحلق، ولا المعاني لمجرد أنها تصوّر لشيء، وإنما بما ينشؤ عن لحمة التناغم والانسجام، والتوفيقُ فيه بما ينتج من التوافق بينهما، فإذا ذكرت الألفاظ قلت: إن « أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه»[20]، وإذا ذكرت المعاني لم تجهل أن تجعل «المزية من حَيّز المعاني دون الألفاظ»[21]، لكنك مع ذلك لا تخرج اللفظ من حيث هو وعاء المعنى ومادته، حتى ولو أن تجعل « المعنى هو المكرّم المخدوم، واللفظ هو المبتذل الخادم»[22]، أما أن تنفي العلاقة القائمة بينهما للقول بالتعالق الناشئ عن المعاني وحدها، فلا غرو أنه مجازوة لما للألفاظ من خدمة

17 لجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رضوان الداية وفايز الداية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1428هـ/2008م، ص91.

18 لمصدر السابق، ص92.

19 لأخضر جمعي، اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م، ص204.

20 لجاحظ، عمرو بن بحر الكناني(ت255هـ)، البيان والتبيين، دار الهلال، بيروت، 1423هـ، ج1/ص87.

21 لجرجاني، دلائل الإعجاز، ص108.

22 بن جني، الخصائص، تحقيق محمد النجار، دار الهدى، بيروت، 1952م، ط2، ج1/ص150.

جليلة في تأدية حق المعاني، ويرى الجرجاني أن الألفاظ لا تعدو أن تكون أصواتا مجردة، إذ يقول: « نعلمُ أنَّ المزيَّةَ المطلوبةَ في هذا الباب مزيَّةٌ فيما طريقُهُ الفكرُ والنظرُ من غيرِ شُبهة. ومحالٌ أن يكونَ اللفظُ له صفةٌ تُستنبَطُ بالفكر ويستعانُ عليها بالرويَّة، اللهمَّ إلا أن تريدَ تأليفَ النَّغم وليس ذلك ممّا نحنُ فيه بسبيلٍ»[23].

يقتصر الفضل عند الجرجاني في النظم وحده، وأنه العلاقة بين معاني النحو، بحيث يوضع الكلام الوضع الذي يقتضيه علم النحو[24]، وأن ليسَ النظم سِوى تَعليقِ الكَلِمِ بعضِها ببعضٍ وجعلِ بعضِها بسببٍ مِن بعضٍ[25]، ولقد أوجز مسألة الإعجاز في القرآن الكريم حين قال: « أعجزتهم مزايا ظهرتْ لهم في نظمِهِ، وخصائصُ صادفوها في سياقِ لفظِهِ، وبدائعُ راعتهم من مبادئِ آيهِ ومقاطِعها ومجاري ألفاظِها ومواقعها، وفي مضربِ كلَ مثلٍ ومساقِ كلَّ خبرٍ وصورةِ كلَّ عظةٍ وتنبيهٍ وإعلامٍ وتذكيرٍ وترغيبٍ وترهيبٍ، ومع كلَّ حُجةٍ وبُرهانٍ وصفةٍ وتبيان. وبَهرهُم أنَّهم تأمَّلوهُ سورةً سورةً، وعُشراً عُشراً، وآيةً آيةً، فلم يجدوا في الجميع كلمةً ينُبو بها مكانُها ولفظةً يُنكرُ شأنُها أو يُرى أنَّ غيَرها أصلحُ هناك أو أشبهُ أو أحرى وأخلق، بل وجدُوا اتّساقاً بَهرَ العُقولَ، وأعجزَ الجمهورَ، ونظاماً والتئاماً، وإتقاناً وإحكاماً»[26].

يقف الجرجاني موقفا حازما من علاقة النظم بالنغم، إذ يرى أن النغم لا يخرج عن كونه أصواتا تخرج من الحلق، فقال: « من أجل ذلك امتنع أن يكون لك قصد إلى شيء مظهر أو مقدر مضمر، وكان لفظك به إذا أنت لم ترد ذلك وصوتٌ تصوّته سواء»[27]، ذلك أنه يرى الأصوات لا تعبّر عن شيء إلا بالنظم، و» ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل»[28]، وعزا الألفاظ إلى أصواتها المجردة، و» أن اللفظَ يكونُ فصيحاً من أجل مزية تقعُ في معناه لا مِنْ أجل جَرْسه وصَداه»[29].

23 لجرجاني، دلائل الإعجاز، ص377.
24 لمصدر السابق، ص28، ص122.
25 نظر: المصدر السابق، ص52، ص101.
26 لمصدر السابق، ص90.
27 لمصدر السابق، ص480.
28 لمصدر السابق، ص98.
29 لمصدر السابق، ص398، وانظر: ص376.

ولقد وفّق حازم القرطاجني بتوفيقه ومناسبته للفظ والمعنى، هي مسألة التركيب اللغوي للصورة المتخيلة، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال التناسب بين اللفظ والمعنى[30]، وإذا عُلم أن بعض النظم أحسن من بعض، يرتقي « بأساليبه في سُلّم ذي درجات متفاوتات، فيكون بعضه أبلغ من بعض ضمن الطبقة التي هو منها، والملائمة للمتلقي الذي يراد إبلاغ المعاني المراد توصيلها إليه، مزيّنة بزيناتها التي تعجبه وتمتعه، وتهزُّ مشاعره، وتستأثر بجوانب فكره ونفسه من الداخل والخارج»[31]، عُلم معه أن بعض النظم أطوع من بعض، وبعضه أثقل على النفس من بعض؛ ذلك لما يكون فيه من فسولة فشت فيه، ورِكة دخلت عليه من نواحي النظم المختلفة، ثم لمّا كان للناظم أن يغيّر من مواضع نظمه وترتيبه تحصّلَ للنغم أن يزّايدَ أو يتناقص ائتلافا أو اختلافا.

ثالثا: النغم في علم الأصوات:

ظهر مؤخّرا مصطلح التنغيم في علم الأصوات، ليدل على « موسيقى الكلام، فالكلام عند إلقائه تكسوه ألوان موسيقية لا تختلف عن «الموسيقى» إلا في درجة التوائم والتوافق بين النغمات الداخلية التي تصنع كُلّاً متناغم الوحدات والجنبات، وتظهر موسيقى الكلام في صورة ارتفاعات وانخفاضات أو تنويعات صوتية، أو ما نسيمها نغمات الكلام، إذ الكلام – مهما كان نوعه – لا يُلقى على مستوى واحد، بحال من الأحوال»[32]؛ من أجل ذلك نعلم أن « اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها التي هي أسباب تباين أصدائها؛ ما شبّه بعضهم الحلق والفم بالناي»[33].

يمكن إطلاق لفظة «النغمة» اصطلاحا على كل جرس خفيّ يقف أبعد مما نسمعه من جرس ظاهر للأصوات، إذ ليس هو نفسه ما يسمى في علم الأصوات بالتنغيم، لأن علم الأصوات يدرسه من حيث المستوى الفونولوجي (phonology) أو التشكيل الأصواتي، ولسنا بصدد أن ندرس الأنغام من حيث هي فونيمات، وإن كنا نتكئ عليها بعض الاتكاء في تعقبّ أصلها الصوتي؛ فالنغم الذي نعنيه مختصٌّ بما للنظم وحده من أثر وتأثير، وهو إلى جانب ذلك يشمل الفونيم والمقطع والنبر والتنغيم من حيث هي مصطلحات أصواتية.

30 نظر: حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ط2، ص4.

31 عبد الرحمن حبنّكة الميداني، البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ط1، 1416هـ/1996م، ج1/ص18.

32 كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 1420هـ/2000م، ص533.

33 بن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق : حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1413هـ/1993م، ص8.

لقد عرّف الأصواتيون حديثا النغمة بأنها " فونيم فوقطعي يصاحب الفونيمات القطعية ويؤثر في المعنى، وهو عادة ذو أربع درجات، النغمة المنخفضة، والنغمة العادية، والنغمة العالية، والنغمة فوق العالية[34]، فالنغم في علم الأصوات متعلق بدرجة الصوت علوّا وانخفاضا[35]، وهذا غير النغم الخفي عندنا المتعلق بالنظم والتراكيب النحوية، غير أن لها ارتباطا بعلم الأصوات السمعي الذي يعرض لوقع آثار النغم في أذن السامع، من الناحيتين العضوية والسمعية[36].

إن النغم الخفي في حقيقة الأمر لا يعدو أن يكون طيفا لطيفا أو ظلا خفيفا، يشِفّ وراء الألفاظ، فهو في خفائه كمعنى المعنى حين لا يُراد به الوصول إلى تجلّيات المعنى الأول، غير أنه يستظهره ويستبينه من دقّ سمعه ورقّ طبعه، إلا أنه في القرآن الكريم أظهر منه في سواه، ويستطيع أي أحد أن يلحظ الفارق النغمي بينه وبين الشعر والكلام المنثور، فهو مسك الختام في البلاغة والبيان، ولقد يرتبط بالنغم الخفي عناصر تعين على استظهاره، وتساعد على استحضاره من حيث الشكل « كالصوامت والصوائت»[37]، وأحوال الجهر والهمس والشدة والرخاوة[38]، والصيغ الصرفية، لكنه أكثر ما يظهر في معاني النحو، أو ما أطلق عليه الجرجاني النظم؛ لأنه معنيّ باستحسان الثمرة الناتجة من بذرة التعالق، في ترابط النظم وتوافق النغم.

إن جملة العناصر التي ذكرتُ لو تعاضدتْ في شعر أو نثر لكانت ذات نغم حسن وجرس ندِيّ، غير أنه من العسير المعجز أن تجتمع كلها في كلام غير كلام الله عز وجل، حيث إن الجرس الخفيّ لا يستطيعه إلا من ألم باللغة العربية وأحاط بها وأدرك معانيها وعلومها؛ لأن توافق النغمة لا يقع إلا بالسجيّة العالية والعفوية المرسلة، إذ « له تعلق ومشاركة للموسيقى، لما فيه من صنعة الأصوات والنغم»[39]، أضف إلى ذلك اقترانه بالحالة النفسية التي لا تحسه إلا الأذن المدربة باختلاف التلوين الموسيقي[40].

34 لخولي، معجم علم الأصوات، مطابع الفرزدق، الرياض، ط1، 1402هـ/1982م، ص175.
35 كمال بشر، علم الأصوات، ص-535 ص539.
36 كمال بشر، علم الأصوات، ص8.
37 نظر: محمود السعران، علم اللغة، دار النهضة، بيروت، د.ت، ص148.
38 نظر: حازم علي كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1420هـ/1999م، ص-43 ص44.
39 بن جني، سر صناعة الإعراب، ص9.
40 كمال بشر، علم الأصوات، ص533.

رابعا: النغم القرآني:

إن النظم والنغم نتاج البعد الخفي للفظ والمعنى؛ لأنهما يعالجان بُعدا أعمق غورا من الشكل والمضمون، ويستمدّان القوة مما هو أبعد من أجزاء الكلام التي هي اسم وفعل وحرف؛ فالعربية جملة وتفصيل، وليست هذه الجملة كلَّ العربية، والدليل على ذلك أنه ليس من أحاط علما بحقيقة الاسم والفعل والحرف أحاط علما بالعربية كلها[41]، وإذا كان النظم يتفاوت في الحسن زيادة ونقصانا، فالنغم يقوى ويفتر بحسب ما للنظم من أثر؛ لأن النظم يُعنى بأثر التركيب، والنغم يُعنى بما للتركيب من جرس خفي، وإحكامه من إحكامه، ورونقه وحسنه من جودة النظم وسبكه، فيجب أن لا تستحسن النفس نغما إلا ولنظمه الفضل في حُسنه، فإذا كان التركيب محكما فلا بد أن يكون ذا نظم مترابط ونغم متوافق.

إن النغم أجل مرتبة في البلاغة وأعلاها، إذ تكون البلاغة في مدى القدرة على التوفيق والجمع بينهما، أما الإعجاز فيكون في التحامهما معا، ولقد عدّ البلاغيون للبلاغة طبقات ثلاثا: «منها ما هو في أعلى طبقة, ومنها ما هو في أدنى طبقة, ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة. فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز, وهو بلاغة القرآن»[42]، ولكن هذا القول على دقته وصحته لم يحمل النظر إلى موضع إعجازه، ولا يكشف عن سر خلوده الأزلي، وأنه «فائتٌ للقوى البشرية، ومتجاوزٌ للذي يتَّسع له ذرع المخلوقين»[43].

يمكن الجزم بأن إعجاز النغم الخفي هو ما أشار إليه الخطابي بعد أن ذكر اختلاف العلماء على سر الإعجاز، فقال: « وقلت في إعجاز القرآن وجها آخر، ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ في آحادهم، وهو صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس؛ فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في حال أخرى ما يخلص منه إليه، قال الله تعالى عنه: { لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ }الحشر:

41 نظر: السيرافي، شرح كتاب سيبويه، تحقيق رمضان عبد التواب ومحمود حجازي ومحمد عبد الدايم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م، ج1/ص50 .

42 لرماني، النكت القرآن، ج1/ص75.

43 لجرجاني، الرسالة الشافية، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م، ص117.

21، وقال تعالى: { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ } الزمر: 23 «[44]، ويقول سيد قطب في ذلك: «والذين أحسوا شيئا من مس القرآن في كيانهم يتذوقون هذه الحقيقة تذوّقا، لا يعبّر عنه إلا هذا النص القرآني المشع الموحي»[45].

إن هذه الثمرة التي يتذوقها كل أحد يقرأ القرآن الكريم لا تتعلّق بالقرآن الكريم من حيث هو مبانٍ ومعانٍ وتصاويرُ فحسب، بل إن هنالك أفقا أبعد من ذلك، وليس النظم في القرآن الكريم وحده من ينبئ عن هذه اللذة، وإلا لما تذوّقها من لا يفهم لغة القرآن الكريم من العجم؛ لعجزه عن فهم نظم العربية ونظامها، إذ يجذبه إليه نغمه الذي يحاكي الفطرة، فتراه يحفظه ويتغنّى في قراءاته ويتنقّل بين مقاماته دون أن يميّز بين الاسم والفعل والحرف؛ لأن نغمه فطري يتيسّر حفظه، إذ يقول الله تعالى مؤكدا تيسيره في أربعة مواضع من سورة القمر: { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ }القمر: 17،22،32،40.

إن خلوص النظم القرآني إلى الجرس المتوافق والصوت المتناغم، وتخلّصه من النغم الناشز ينضاف بلا أدنى ريبة إلى إعجازه، ذلك أنه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: « لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوجّ فيقوّم، ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد»[46]، فامتلك القرآن الكريم بذلك أقصى غاية من التلاحم القائم بين النظم والنغم، فالنظم غاية ما يصل إليه التركيب ومنتهاه، والنغم غاية ما يصل إليه النظم، وإذا كان النظم حسن التركيب، فإن النغم حسن النظم، وهذه أجلّ صورة من صور البلاغة وأبهاها، وأرفع أمارات البيان وأعلاها، ولا تتأتّى بصورتها الكاملة وهيئتها الماثلة إلا بالقرآن الكريم النص المعجِز الخالد، بل إن نغم القرآن الكريم يقف وراء خلوده على رغم تعاقب الحدثان، وتتابع الأزمان. ذلك النغم هو الإعجاز المطلق الذي تحدّى به الله سبحانه وتعالى أقحاح العرب، لأنهم عاجزون بإنسانيتهم عن بلوغ ما ورائيات الأصوات في أقصى مراتبها، ويمكن إيضاح مراحل هذه المراتب في الشكل الآتي:

44 لخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص70.
45 سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، 1396م، ج6/ص3532.
46 رواه الدارمي، سننه، دار الفكر، القاهرة، 1398هـ، ج2/ص431.

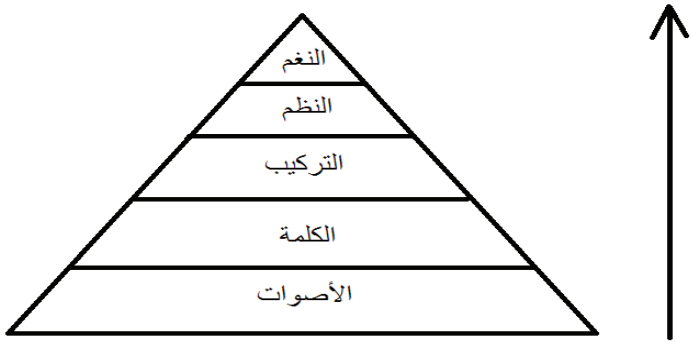

إن المزية التي يَفضُل بها النغم على النظم لا تعني إهمال ما للنظم من قوة تجمع التراكيب، فهو الأساس، ومبتدأ الإحساس، ولولاه لما استقر في الأفهام معنى، غير أن شأن الإعجاز في أن تتنزّل قوة النظم على النغم، أما مزية النظم على النغم أنك لا تستحسن شيئا من الكلام " إلا وهو معنى من معاني النحو، قد أصيب به موضعه، ووُضع في حقه"[47]، والعكس صحيح، إذ لا يستقيم لعاقل أن يُعجب بمعنى لا صحة له من جهة النحو، وإذا استحسن نظما فإن ذلك الاستحسان لا يرفعه إلى الرتبة العالية من البلاغة إلا أن يوافق نظمه نغمه، وإذا كان ذلك كذلك نزل في نفسه منزلة لا يقدّم عليها شيئا من الكلام، وذلك حاصل كله في القرآن الكريم، إذ ليس أدل على فضل الرتبة النغمية من قوله تعالى: { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }البقرة: ١٧٩، ولقد كانت العرب تستحسن المثل السائر في قولهم: القتل أنفى للقتل. فلما أن سمعوا الآية غطّى حُسنها المثل في ترابط نظمها وتوافق نغمها، فبلغت أعلى مرتبة في حسن الموافقة بين النغم والنظم، أما المثل فهو نظم حسن، لكنه لا يصل الرتبة العليا في النغم، وذلك لِ» بعده من الكلفة بالتكرير الذي فيه على النفس مشقة فإن قولهم: القتل أنفى للقتل تكريرا غيره أبلغ منه, ومتى كان التكرير كذلك فهو مقصِّر في باب البلاغة عن أعلى طبقة, وأما الحسن بتأليف الحروف المتلائمة فهو مدرك بالحس وموجود في اللفظ، فإن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعد الهمزة من اللام, وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام, فباجتماع هذه الأمور التي ذكرناها صار أبلغ منه وأحسن, وإن كان الأول بليغًا حسنا»[48]، ومثل ذلك

47 لجرجاني، دلائل الإعجاز، ص123.
48 لرماني، النكت القرآن، ج1/ص78.

قوله تعالى: { لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ }الرعد: ٣٨، تجدك تتلمس الرتبة نفسها من بلاغة الإعجاز في نغم الآيتين. وهذا الأنموذج الذي يمكن إجراؤه على نحو الشكل الآتي:

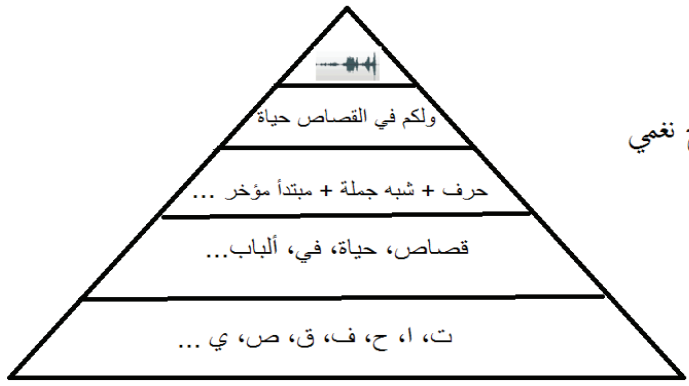

أنموذج نغمي

يتجلّى النظم والنغم بأبهى صورهما وأتم أمارتهما في القرآن الكريم كاملا، إذ ليس فيه موضعٌ نغْمُه ناشز أو مضطرب، وليس فيه موضعٌ نغمُه أحسن موضع، بل القرآن كله تستوي آياته في درجة الإعجاز، وليس أدل على ذلك من أمرين: النغم السردي في القرآن الكريم، والنغم العددي فيه، وكل أنغام القرآن الكريم يضمّها نغم التلاوة، وسيأتي الكلام عليها لاحقا إن شاء الله.

وانظر إلى آيات الأحكام لا ترى فيها نغما يخبو أو يفتُر في موضع من المواضع، بل لا تجد أن نغما ما خيرا من آخر، أو أن جرس كلمة أو آية خير من جرس أخرى، واقرأ إن شئت قوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا } النساء: ٢٣ ، تجد أنها نزلت في تحريم المحارم من النسب، وما يتبعه من الرضاع والمحارم بالصهر[49]، ثم انظر إلى دقة التفصيل والتقريرية التي لم تنقص من نغمها الخفي وجرسها الداخلي شيئا، ألا ترى أنها كالقطعة الواحدة، فهي ذات نظم متوافق وجرس ساحر ونغم

49 بن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير(ت774هـ)، تفسيره، دار طيبة، الرياض، ط1، 1422هـ/2002م، ج2/ ص248.

منتظم، وكلما قرأتها «لا تنفك من الحكم التي تخلف حكمة الإعجاز في النظم والتأليف، والفائدة التي تنوب مناب العدول عن البراعة في وجه الترصيف»[50]، في اعتبار تنزيل الخطاب وظهور الحكمة في الترتيب والمعنى[51].

إنك إذا عكفت على قراءة القرآن الكريم ولزمته آية آية وكلمة كلمة، لوجدتها كانت في الجمال غاية، وفي الإعجاز آية، فكيف إذا قارنَتْها أخواتها، وضامّتها ذواتُها مما تجري في الحسن مجراها، وتأخذ معناها، ثم من قصة إلى قصة، ومن باب إلى باب من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل، وحتى يصوّر لك الفصل وصلا، ببديع التأليف وبليغ التنزيل[52]، وقر في نفسك بعدئذ أن « نظم القرآن على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم»[53]، ويذكر الجرجاني في دلائله أنه يجوز في الكلام أن « يفضلُ النظمُ النظْمَ والتأليفُ التأليفَ والنَّسخُ النسجَ والصيّاغةُ الصيّاغةَ، ثم يعظُمُ الفضْلُ وتكثُر المزيَّةُ حتى يفوقَ الشّيءُ نظيرَه والمُجانسُ له درجاتٍ كثيرة»[54]، غير أنه من غير الممكن القول بأن في القرآن الكريم آية يفضل نظمها أو نغمها آية أخرى، ولا كلمة أسوغ من كلمة، سواء أَحَوت صورة فنية أم لم تحوِ، لأن القرآن يستوي كله في رتبة الإعجاز.

ومن دلائل إعجاز القرآن في النغم أنك لو أعملت ذهنك في وضع كلمة «ثبّط» في نظم لجَهَدت أن تجعلها في نظم حسن الرتبة، لتعاقب صوتين مجهورين شديدين هما (الباء المشددة، والطاء)، غير أن القرآن الكريم استعملها حين استعملها بأفضل صورة وأتم طريقة وأعجز بلاغة في قوله: { كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ }التوبة: ٤٦، فقد تخلّص نغمُ الآية من ثقل أجراس الكلمة منفردة في المقاطع (ثهم+ فث)، ذلك لأنه سُبقت بثلاثة أصوات مهموسة رخوة وهي: (ث، ه، ف)، مع تكرار جرس الثاء، ثم استمع لغُنّة الميم التي زادت النغم الخفي سلاسة وعذوبة، وكل نغمة إلى ذلك لا ينوب عنها نغْمة أخرى، ولا تبلغ جهتها من الاستحسان والقبول في سواها، وكذلك جرس لفظة (ضيزى) في قوله: { تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ } النجم: ٢٢، فلو أنك أجهدت نفسك في البحث عن نظم خالد تأتّى له هذا النغم في استعمالها لبلغت الغاية من العجز.

50 لباقلاني، إعجاز القرآن الكريم، ص208.
51 لمصدر السابق، ص207.
52 لمصدر السابق، ص190.
53 لمصدر السابق، التمهيد.
54 لجرجاني، دلائل الإعجاز، ص87.

جعل سيد قطب «التصوير الفني هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن»[55]، حيث لم يقصد أن يخرج سواها من الأدواة المستخدمة في القرآن عن جادة التفضيل، ولكنه قصد إلى «أن نتوسع في معنى التصوير، حتى ندرك آفاق التصوير الفني في القرآن، فهو تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخييل؛ كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل. وكثيرا ما يشترك الوصف، والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق، في إبراز صورة من الصور، تتملاها العين والأذن، والحس والخيال، والفكر والوجدان»[56]، وهذا التصوير غاية في الدقة لا مثيل له, ولو كان الحكم للتصوير الفني وحده بالتفضيل، لكان الحكم بتفضيل بعض القرآن على بعض، كمن يفضّل الذهب على الذهب؛ فنغم القرآن الكريم يظهر كله على صورة مفضلة مميزة لا تنشز ولا تضعف ولا تنحسر.

قد يظهر النغم الجيد في كثير من الشعر وقليل من النثر، وكما قال الرسول صلى الله وعليه وسلم: «إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة»[57]، ولا يبلغ مرتبة السحر إلا إذا بلغ الرتبة العليا من البلاغة، لكن النغم مع ذلك يشِعّ في موضع ويخبو في موضع آخر في سوى القرآن الكريم، وإن لم يكن النغم هو الوزن العروضي بحد ذاته إلا أن لها صلة حميمية به، وربما كان جرس النغم الخفي سبباً من أسباب ظهور الشعر العربي وجريان أوزانه على ألسنة الشعراء إلى عصرنا الحاضر، لكن ذلك لا يعني بشيء أن كل شعر نغم خفي ولا كل نغم خفي شعرا.

إن سلامة النظم وعذوبة النغم ورقة الجرس وسلاسة الحركة بين النغمة والنغمة، ولا يفهم من كلامنا هذا البتة المزاوجةُ والمقارنة بين القرآن الكريم المعجز لفظا ومعنى ونظما ونغما، وبين الشعر على أي حال، ولكن الشاهد من المقال أن تمايز الشعراء يكون بسبب من القدرة على الموافقة بين النظم والنغم، وهذه القدرة هي الملكة الشعرية التي هي فوق القريحة الشعرية، وهي توفيق من الله سبحانه وتعالى يودعها من شاء من خلقه، ودليل ذلك نبوغ شعراء من غير العرب أصلا ومحتدا، وليس الأمر حصرا على الشعر وإن كان به أقرن، فالنثر له حظ وافر منه، وليست علاقة الإيقاع الداخلي أو الموسيقى الداخلية مقصورة على الشعر العربي؛ لاعتماده على الوزن والعروض، بل إن هناك

55 سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17، 1425هـ/2004م، ص36.
56 لمصدر السابق، ص37.
57 صحيح البخاري (10 /203 حديث رقم 5146)، صحيح مسلم (2/594 حديث رقم869).

علاقة وثيقة تربط اللغة وبنيتها الأساسية بالموسيقى والإيقاع المتجانس، فذلك يعتمد على قدرة المتكلم على استحضار الفونيم في ذهنه، « ويحاول – لا شعوريا – أن ينطقها في الكلام الفعلي، ولكنه قد ينجح في تحقيق هذه الصورة الذهنية والتعبير عنها بصوت حقيقي، وقد يفشل في حالات أخرى، فيحاول أن يأتي بأقرب صوت إلى هذه الصورة، وإن لم يماثلها تمام المماثلة»[58].

يرقى إلى الاعتقاد الجازم القول بأن القرآن الكريم هو وحده مثال توافق النظم البهي والنغم والخفي الكامل، وبرهان ذلك تلاوته وترتيل وتجويده كما نزل على نبينا محمد عليه السلام، فكيف يتحصّل أن يكون النظم وحده ذا الشرف في خلوده، وإلا لكان كل نظم جيد الرتبة سوى القرآن قادرا على الخلود، وما ذهب إليه الجرجاني من إنكار فضل النغم وإهمال الجرس إنما هو انحياز منه إلى المعاني النحوية دون الألفاظ التي هي الأصوات والأنغام والأجراس، ولئن أراد أن يفنّد ليثبت، فلقد اندفع إلى الحكم على النغم اندفاعا لا يجوز معه فيه أن يهمله أو ينكر فضله، ويثبت ذلك ما يبدو في القرآن الكريم من مظاهر للنغم السردي، على نحو ما سأذكره إن شاء الله.

خامسا: النغم السردي في القرآن الكريم:

إن عظمة الإعجاز القرآني صوره عديدة وآفاقه مديدة، ومن جملتها روعة القصص القرآني، بما انماز به من ملامح لا تظهر في سواه من القصص، وما فيها من دقة البلاغة والبيان، بأساليب وتراكيب لا يُجرى على منوالها في السرد القصصي، وهو ما يجعل من قصص القرآن عبرا ودروسا لا تمل من كثرة الترداد، ولا تُسأم من طول التكرار، ذلك سرّ قوله صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن)[59].

يطلعنا النغم السردي في القرآن الكريم على نمط يختلف البتة عن أنماط القصة في غيره، ذلك النمط المعجز الذي ليس له مثيل، لا يُشعرك بالسآمة التي تجدها من تكرار القصة، ولعل مردّ ذلك إلى أن نغم القصص نغمُ تلاوة كسائر نغم القرآن الكريم، وما دام موصوفا بأنه { الْقَصَصُ الْحَقُّ }، فهو نغم لا يفتر ولا يخلق ولا يبلى، بل يتنزّل في نفس السامع منزلة محبّبة؛ لأن الله سبحانه وتعالى يعلم جبلّة النفس الإنسانية، فيضع كل نغم في مكانه، فتتحق

58 كمال بشر، علم الأصوات، ص487.

59 رواه البخاري. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني، دار الريان، الرياض، 1407هـ/1986م، مسألة 4736.

في ذلك « الصور الذهنية للأصوات التي تمثلها أو تحاول تحقيقها الأصوات المنطوقة»[60]، وفي ذلك يقول الله تعالى: { نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } القصص: ٣، فتعلم أن تلاوة هذه القصص سردية تتابع في أجراس الأنغام تتابعا عذبا ينقلك إلى تدبر القصة والدخول إلى كُنْهِها.

يتناغم القَصص في القرآن الكريم بنغم ينماز عن سائر قِصص البشر، فمن طبيعة القِصص أن تعلَق بالذهن، أولَ ما تسمعها الأذن، فيتخيّلها الإنسان وكأنها تتراءى أمامه، ثم تجدها مملولة إذا كُرّرت على مسمعه، ولو حتى بأسلوب أحسنَ من الأول؛ لأنه إنما يخيّل إليه تكرار المشهد الذي تراءى له في خياله، إلا أن سر النغم السردي في القرآن الكريم لا يقودك إلى السآمة والملالة مع التكرار والترداد أبدا، بل تتجلّى لك حكمة في كل مرة تتدبّر فيها قصة من قصص القرآن الكريم، ولقد استُمدّ ذلك من تآلف الأصوات، فكل صوت في مكانه الذي لا يحيد عنه ولا يتجاوزه، ويتناغم الجرس القرآني الكلي في الآيات الكريمة حتى تعلق في شغاف القلوب، فيتنزل في الأسماع منزلة سلسة تستسيغه النفس ويستريح له الوجدان، وهذه المنزلة تأخذ قيمتها من جرسها الخفي ونغمها البهي، فأجراس الأصوات وأنغامها لها ارتباط وثيق «بالأفكار والمشاعر وصور الأشياء المخزونة في المخ»[61].

إن دراسة القرآن الكريم على أساس النغم تقود إلى معرفة كثير من خفايا إعجازه ومزايا نغمه، فمن ذلك مثلا حرف الفاء الذي اختلف اللغويون في الاتفاق على معناه، وبعيدا من تأويلات النحويين واللغويين في معنى الفاء، فلقد وردت بعد الهمزة على النمط المتكرر نفسه في خمسة وأربعين موضعا في القرآن الكريم، كانت فيها لبِنة من لبِنات الفاصلة القرآنية، ولم يفقدها ذلك التكرار توافق نغمها ولا عذوبة جرسها، من مثل قوله تعالى: {أفلا} ، ثم يليها الفعل المضارع { تعقلون} في ثلاثة عشر موضعا مختلفا، أفلا ترى أن هذا النظم الساحر لا ينقص قدره بالتكرار؛ لأنه استُعمل في القرآن الكريم استعماله الخالد، وهذا ما أسميه بالنظم الذهبي؛ لأنه لا تتغيّر قيمته ولا تقل روعته مع التكرار والمداومة، أفلا تعود تلك المزية إلى التوافق بين النغم والنظم، ولو أردت أن تأتي بنظم على شاكلته لكان له بهاؤه ورونقه بالحد الذي توفّق فيه على حسن النظم، فالموفق هو الذي أجرى الله له النغم طيّعا سهلا يستشفّ متلقيه عذوبة تنساب منه.

60 كمال بشر، علم الأصوات، ص487.
61 حازم علي، دراسة في علم الأصوات، ص5.

لقد استعرض القرآن الكريم لنا وقائع حقيقية وأمثلة عقلية حتى يأخذنا إلى التسليم بالحقيقة المطلقة، وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة وقصص جليلة، منها قصة عزير في قوله تعالى: { أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }البقرة: ٢٥٩، ألا ترى كيف ابتُدأ السرد القصصي، بحرفي (أو، ك)، فأنت إذا استغنيت عن أحدهما سلبت رونق النغم واجتزأته، وإذا علمنا أن حرف العطف (أو) عطف قصة عزير على قصة إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } البقرة: ٢٥٨، علمنا أنها لمعنى العطف على قصة إبراهيم عليه السلام، فما يكون معنى حرف الكاف الذي تبع العطف؟!.

منافٍ للإعجاز أن يكون في القرآن الكريم لفظ زائد، حتى وإن رأى بعض المفسرين أن الكاف في ذلك الموضع زائدة[62]؛ لأنه «غير جائز أن يكون في كتاب الله شيء لا معنى له»[63]، ولو اختلفت أقوال البصريين والكوفيين في الاصطلاح بتسميتها بالحروف الزائدة، فالزيادة واللغو من عبارة البصريين، والصلة والحشو من عبارة الكوفيين[64]، إلا أننا يجب أن نتورّع عن إطلاق مصطلحي الحشو أو الزيادة في القرآن الكريم.

إن النغم الذي نسمعه بجرس الكاف يحفظ جلال النغم القرآني وبهاءه، ذلك النغم ما يسميه الأصواتيون بالفونيم الثانوي[65]، فإذا أردت أن تقول: أو الذي مرّ. تجد أنك نقصت شيئا ذا قيمة عالية من الجرس الظاهر والنغم الخفي لا يكون إلا بإثبات نغم الكاف، فهو مقطع ذو درجة نبر خفيفة، أقرب

62 نظر: تفسير الجلالين ولباب النقول في أسباب النزول على هامش القرآن الكريم، المؤلف: جلال الدين المحلى – جلال الدين السيوطي، تقديم عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، 1407هـ، ج1/ص44.

63 لطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ)، تفسيره، تحقيق محمد محمود شاكر، دار المعارف، مصر، ط2، 1374هـ، ج5/ص439.

64 لزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1377هـ/1958م، ج3/ص72 .

65 كمال بشر، علم الأصوات، 496.

ما يكون إلى الاستهلالية منه إلى التشبيه[66]، « وذلك لتيسير اللفظ، مثل إضافة همزة الوصل في كثير من الكلمات العربية لمنع الابتداء بصوت ساكن، كما في: اُكتُب، اِشرب»[67].

وشبيهٌ بذلك النغم نغمُ المقطع « وهو وحدة صوتية تتكون من عدة أصوات»[68]، فله نغم خفي ينشأ من اتفاق الجرسين، كمقطع التاء والسين في لفظة «أبت» في قوله تعالى: { قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ } القصص: ٢٦، تحس أن النغم الخفي في اللفظتين تناهى في السلاسة والعذوبة بالتحام المقطع في الصوتين المهموسين (تِسْ) في قوله تعالى: {يا أبت استأجره} ، وأنك لو قلت: يا أبتِ. دون أن تتبعها بالسين لم تكن بمثل ما هي عليه متفقة في المقطع، وانظر إلى دقة نغم المقطع واتحاد الجرس في قوله تعالت أسماؤه: {خُذِ العَفْوَ} ، وكأنك تسمع كلمة واحدة اتحدت أجزاؤها في مقطع (ذِل)، فلقد تجاذبت الأنغام بائتلاف عجيب يُشعِرك بالعجز الإنساني أمام جبروته.

إن حسن المقطع من حسن جرس الصوت؛ « لأن المقطع من حيث بناؤه المثالي أو النموذجي أكبر من الصوت، وأصغر من الكلمة»[69]، وفي ذلك يقول ابن جني: « اعلم أن الصوت عَرَضٌ يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عَرض له حرفا، وتختلف أجراس الحروف بحسب مقاطعها»[70].

من أمثال النغم السردي في القرآن الكريم، مماثلة النغم، «والمماثلة في أنواعها متناسقة الدلالة في اللغة العربية في حالات الجهر والهمس ، والشدة والرخاوة ، والانطباق والانفتاح ، مما يتوافر أمثاله في مجال الصوت، وتنقل مجراه»[71]، ومن ذلك أيضا نغم الصاد المبهر في قوله تعالى: { وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُون }القصص: ١١، تجد أن هذا النغم يرسم لك صورة جلّيّة لحالة أم موسى من اللهفة والحزن، والحاجة إلى اتباع الأثر في البحث والتقصي.

66 لخولي، معجم علم الأصوات، ص160
67 لمصدر السابق، ص19.
68 لمصدر السابق، ص160.
69 كمال بشر، علم الأصوات، ص503.
70 بن جني، سر صناعة الإعراب، ص6.
71 محمد الصغير، الصوت اللغوي، ص25.

مثل ذلك نغم الفاء في قوله تعالى: { وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ } الشعراء: ١٩، تحس بأن هذا التكرار نتج من دلالة التأكيد على عظم ما فعله موسى عليه السلام من كفران النعمة التي اختصه بها فرعون[72]، وعلى إقراره عليه السلام وعدم إنكاره لفعلته حين قال: { قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّين} الشعراء 20، وانظر إلى وقع هذا النغم مجددا في قوله تعالى: { فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ } الشعراء: ٢١، وما كان لنغم سوى الفاء أن يجلّي عن هذه الصورة الفنية التي تصف لك الحال بأحسن مما قد تراه عيناك.

جملة القول فيما تقدّم أنه لا يفضل نغم نغما في النظم إلا بما لحقه من درجة الحسن في توافق المقطع، وتناغم الجرس، وليس الشأن في صفات الأصوات من حيث ماهيتها، وإنما الشأن بجودة الإيقاع وروح التوافق وسلاسة المخرج ومدى التوفيق، حتى لا ينشز جرس في مكانه، وانظر إلى تركيب جملة كيف تكثّفت أنغامها لتكون كالكلمة الواحدة في قوله تعالى: { وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِين }الحجر: ٢٢، ألا تتحسّس أنها أكثر من أن تعدو حروفا متصلة، أو أصواتا مجردة، فكيف اتفقت أنغام أحد عشر حرفا لتشكل نسقا لا مثيل له، ولا ملالة فيه ولا سآمة، فإذا أنت أردت فصل جزء منها عن غيره فقد بعضا من حسنه الذي اكتمل باكتماله، وإذا أردت أن تجري على مثاله لفظة أخرى فإنها ستكون ذات جرس خالب، ولكنه ليس بشيء إزاء ما نظم القرآن الكريم، فلتقل مثلا: فأعطيناكموه، تجد أنها نالت بعضا من النورانية في انسجام التركيب، ولكنها تهاوى مع الاستعمال والترداد، لأن نغمها ليس خالدا باتحاده، خذ أيضا أمثلة نورانية لتراكيب الجمل في قوله تعالى: {أَنُلْزِمُكُمُوهَا}، وفي قوله: {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ}، وقوله: {وَلْيَتَلَطَّفْ}، فليس طول الكلمة مؤثرا على حسن جرسها ولا حتى قصره، وإنما الآيات في ائتلاف عناصر النغم فيها.

إن نغم كل صوت في القرآن الكريم محاكاة لا مثيل لها لأجزاء الوصف، ولبنة لا يستبدل بها لتمام البلاغة القرآنية، واستمع إلى عمق حرف الزاي في رسم صورة للمشهد الفني في قوله تعالى: { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ} فاطر18، وكيف طرق مسمعك هذا التعاقب العجيب والتتابع الفريد في

72 لشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار(ت1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/1995م.ج6/ص89.

تكرار الحرف في أربعة مواضع من القرآن الكريم؛ ذلك أن هذا التكرار لم يكن بهذا الجرس المتناغم لو استُبدل بغيره، وانظر إلى تعاقب جرس النون وتوافقه في قصة موسى عليه السلام في قوله تعالى: { فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِين } القصص: ١٩، ولك أن تتخيّل في حضرة النغم جوانب نفسية خفية من القصة، تتخفّى وراء جرس النون الذي يوحي بدرجة الخوف في نفس الرجل الذي من شيعة موسى عليه السلام، وهذا التحليل يقوّيه قول بعض المفسرين[73].

إن القصص في القرآن الكريم ذات نغم يحاكي مشهد القصة، ينقل خيالك إلى استحضارها، ويجعل من سمعك كالعين المبصرة، لكنه سرعان ما يتبعثر جماله ويخبو رونقه لو أنك قدّمت أو أخّرت، أو ذكرت أو حذفت نغما واحدا من أنغامها، كصورة المشهد الحزين في قصة يعقوب وابنه يوسف عليهما السلام: { وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ } يوسف: ٨٤، ألا ترى كيف تشرّبت أجراسُ النغم هذا الحزنَ الأبوي الدامي، وكيف صار النفَس فيها منقطعا، وفترت صورة النغم النشِط، وسكنت حركة الصوت الذي المتنقل، حتى لكأنك تنظر إلى صورة يعقوب عليه السلام وهو في حالته الرثة تلك، وما كان لهذا النظم الحزين أن لا تنعكس صورته، وما كان لهذا النغم أن لا ينقلك إلى تجلّيات هذا الحدث، لولا نغمه الخفي. وجملة القول فيما تقدّم أن للقرآن الكريم نغما لا يفتر بأية حال من الأحوال، يستمد قوته ورونقه وبهاءه من محاكاته للفطرة، فهو أقرب كلام إلى النفس، تتحسس فيه البيان، وتتلمس في نغمه الإتقان.

73 نظر: الطبري، تفسيره، ص545.

الخاتمة:

لا شك أن دراسة النغم الخفي تخطو خطواتها الأولى في درب الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، ويجب أن يعمد اللغويون ولا سيما الأصواتيون إلى استجلاء حقائق هذا البهاء والجلال النغمي في النص القرآني، بحيث تكون النتائج استقرائية تحليلية، ففي غير القرآن الكريم يكون جرَيانُ النغم على الأسماع وطرقه المتكرر لأذن السامع حائلا لها عن الولوج إلى كنه المقصود منه، وله أن يدّكر المعنى كلما أعمل فيه عقله، وهذا المعنى لا يجده في سطور المعاجم والقواميس، وإنما هو خفيّ في الصدور لا يستجليه إلا من طلبه بالمداومة والمحافظة وحسن الاستماع ودقة الانتفاع وكثرة الإيداع، لكنه في القرآن الكريم أكمل جلالا وأكثر جلاء.

إن تعقّب سمات النغم القرآني يرفد اللغة العربية بنماذج وأمثلة يمكن الاستعانة بها، وذلك من شأنه أن يعزّز من تماسك اللغة العربية لأنها تستمد كل مظاهرها من معين القرآن الكريم، وتكمن الحاجة إلى دراسة النغم القرآني وتتبّعه في أن نقفو أثره في البلاغة والبيان، ولا بد لذلك من أداة تحصله وقواعد تضبطه، حتى يكون كلامنا على منوال القرآن الكريم رقة وعذوبة وسلاسة، مع العلم أننا وإن اقتفينا أثره لن نبلغ أبعاض بلاغته وفصاحته وإعجازه وبيانه، ولكننا بذلك نرقى بالعربية ونسمو بها، ولا يمكن إغفال ما للنغم من أثر بالغ في جمال النص، فإيقاع النغم الخفي في القرآن الكريم أنموذج لا مثيل له من التوافق والانسجام، بما اتفق فيه من الجمع بين البنية اللغوية للنظم وبين النغم الخفي، فصارا معا نفسا واحدة، ذات قوة خفية تشد أجزاء التركيب بعضها ببعض، وتوجّه التركيب الوجهة المثلى.

References

· Quran karim
· Sahih Al Bukhari, Ebu Abdilllah Mohammad İbn İsmail, dar ibn katheer, Damascus, 1 Edition, 1423AH/2002AD.
· Sahih Muslim, muslim ibn alhajaj alqushairi alnaisabori, tahqiq mohammad abdulbaqi, dar ihya' at-turath, beirut.
· Sonan Addarimi, abu mohammad Abdullah ibn abderrahman, dar ahfikr, Cairo, 1398AH.

1- Al akhdar juma'i, Al Lafth Wal Wa'na Fi Attafkir Annaqdi Wal Balagi Ind Al Arab, manshorat ittihad alkottab al arab, Damascus, 2001AD.
2- Ihsan abbas, Tarih Annaqd al Adabi Ind Al Arab, dar al thaqafah, 4 edition beirut. Fann ashi'r, dar al thaqafah, 3 edition, beirut.
3- Al jahith, amr ibn bahr al kinani, Al Bayan Wattabeen, dar al hilal, Beirut, 1423AH. Kitab Al Hayawan, tahqiq abd essalam haroon, dar ihya' al turath al arabi, 3 edition, Beirut, 1388AH/1969AD.
4- Al jorjani, abdul qahir ibn abdell rahman, Arrisalah Ashafiah, tahqiq mohammad khalaf allah wa mohammad sallam, dar al ma'arif, Egypt, 3 edition, 1976AD. Dala'el Al E'jaz, tahqiq mohammad wa Fayez addayah, dar al fikr, Damascus, 1 edition, 1428AH/2008AD.
5- Jalal addin al suyoti wa jalal addin al mahalli, Tafsir Aljalalin, Taqdim abdul qadir al arna'ot, dar ibn katheer, Damascus, 1407AH.
6- Aljawhari, ismail ibn hammad, Assihah, tahqiq ahmad attar, dar al elm lelmalaeen, Beirut, 2 edition, 1399AH/1979AD.
7- Ibn jinni, abu al fath Othman, Alkhasa'es, tahqiq mohammad annajar, dar al hoda, Beirut, 1952AD, 2 edition. Sir Sina'at Al E'erab, tahqiq hasan hindawe, dar al qalam, Damascus, 2 edition, 1413AH/1993AD.
8- Hazim al qirtajinni, abu al hasan ibn mohammad, Minhaj Al Bolaga' Wa Siraj Al Odaba', tahqiq mohammad al khoja, dar al garb al islami, Beirut, 1981AD.
9- Hazim kamal addin, Dirasah Fi Ilm Al Aswat, maktabat al adab, Cairo, 1 edition, 1420AH/1999AD.
10- Alkhattabi, abu sulaiman hamd ibn Ibrahim, Bayan I'jaz Alquran, tahqiq mohammad khalaf allah wa mohammad zaglol, 4 edition, dar al ma'arif, Egypt, 3 edition, 1976AD.
11- Ar rafi'e, mostafa sadiq, I'jaz Al Quran Wa Al Balaga An Nabaweya, al maktaba al asriya, Cairo, 1426AD.
12- Ar rommani, ali ibn isa, An Nokat Fi I'jaz Al Quran, tahqiq mohammad khalaf allah wa mohammad sallam, dar al ma'arif, Egypt, 3 edition, 1976AD.
13- Azzarqashi, mohammad ibn abd ellah, Al Borhan Fi Olom Alquran, tahqiq mohammad Ibrahim, dar ihya' al kotob al arabya, 1 edition, 1377AH/1958AD.
14- Assirafi, abu saeed alhasan, Sharh Kitab Sebawaih, tahqiq Ramadan abd attwab wa Mahmud hijazi wa mohammad abd addaim, al hai'a al misrya al 'amma lilkitab, 1986AD.

15- Saied qotob, Attasweer Al Fanni Lil Quran, dar ashoroq, Cairo, 17 edition, 1425AH/2004AD. Fi thilal al quran, dar ashoroq, Beirut, 1396AD.
16- Ashanqiti, mohammad al amin ibn al mokhtar, Adwa' Al Bayan Fi Iedah Al Quran Bil Quran, dar al fikr, Beirut, 1415AH/1995AD.
17- Shawqi daif, Fi Annaqd Al Adabi, dar al ma'arif, Egypt, 2 edition, 1966AD.
18- Assagani, al hasan ibn mohammad, Al Obab Az zakhir, tahqiq mohammad all yaseen, 1 edition, 1987AD, dar asho'on ath thaqafia al amma, bagdad.
19- At tabari, abu ja'far mohammad ibn jareer, Tafsiroh, tahqiq mohammad shakir, dar al ma'aref, Egypt, 2 edition, 1374AH.
20- Habannaka, abd arrahman al maidani, Al Balaga Al Arabia, dar al qalam, Damascus, 1 edition, 1416AH/1996AD.
21- Ibn faris, ahmad ibn faris ibn zaqaria, Mo'jam Maqayees Al Loga, tahqiq abd as salam haroon, Damascus, al mojamma' al arabi al islami, 1399AH/1979AD.
22- Ibn katheer. Abu al fida ismail ibn omar, Tafsiroh, dar taibah, Riyadh, 1 edition, 1422AH/2002AD.
23- Kamal bishr, Ilm Al Aswat, dar garib, Cairo, 1420AH/2000AD.
24- Ibn malik, jamal ad din al andalosi, Shawahid At Tawdih Wa At Tashih, tahqiq taha mohsin, dar al afaq al Arabia, Cairo, 1405AH/1985AD.
25- Mohammad as sager, As Saot Al Logawi Fi Al Quran, dar al mo'ariq, Beirut, maoso'at ad dirasat al qurania, 1 edition.
26- Mohammad alkoli, Mo'jam Ilm Al Aswat, matabi' al farazdaq, Riyadh, 1 edition, 1402AH/1982AD.
27- Mohammad anani, An Naqd At Tahlili, silsilat maktabat an naqd al adabi, maktabat al anjlo al maisrya, Egypt.
28- Mahmud as su'ran, Ilm Al Loga, dar an nahda, Beirut.
29- Ibn manthor, mohammad bin makram bim ali, Lisan Al Arab, dar sadir, Beirut, 3 edition, 2003AD.
30- Manna' al qattan, Mabahith Fi Olom Al Quran, maktabat wahba, Cairo, 11 edition, 2000AD.